

أضواء البيان

@ 459 . قوله تعالى : { فَذَكَرْهُ فَمَاءَ أَنْتَ بِبِنْدِعْمَةٍ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَسَّ رِيبَ بَصُرٍ بِهِ رَبِّبُ الْمَدُونِ } . نفى [] جل وعلا عن نبيه صلى [] عليه وسلم في هاتين الآيتين الكريمتين ثلاث صفات قبيحة عن نبيه صلى [] عليه وسلم رماه بها الكفار ، وهي الكهانة والجنون والشعر ، أما دعواهم أنه كاهن أو مجنون ، فقد نفاها صريحا بحرف النفي الذي هو ما في قوله : { فَمَاءَ أَنْتَ } وأكد النفي بالباء في قوله : { بِكَاهِنٍ } وأما كونه شاعرا فقد نفاها ضمنا بأَم المنقطعة في قوله : { أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ } ، لأنها تدل على الإضراب والإنكار المتضمن معنى النفي . . . وقد جاءت آيات أخر بنفي هذه الصفات عنه صلى [] عليه وسلم كقوله تعالى في نفي الجنون عنه في أول القلم : { مَاءَ أَنْتَ بِبِنْدِعْمَةٍ رَبِّكَ بِبِمَجْنُونٍ } وقوله في التكوير { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } وكقوله في نفي الصفتين الأخيرتين أعني الكهانة والشعر : { وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } ، وقد قدمنا بعض الكلام على هذا في سورة الشعراء وغيرها .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { نَسَّ رِيبَ بَصُرٍ بِهِ رَبِّبُ الْمَدُونِ } أي ننتظر به حوادث الدهر ، حتى يحدث له منها الموت ، فالمنون : الدهر ، وريبه : حوادثه التي يطرأ فيها الهلاك والتغيير ، والتحقيق أن الدهر هو المراد في قول أبي ذؤيب الهذلي : نَسَّ رِيبَ بَصُرٍ بِهِ رَبِّبُ الْمَدُونِ { أي ننتظر به حوادث الدهر ، حتى يحدث له منها الموت ، فالمنون : الدهر ، وريبه : حوادثه التي يطرأ فيها الهلاك والتغيير ، والتحقيق أن الدهر هو المراد في قول أبي ذؤيب الهذلي : % (أمن المنون وريبه تتوجع % والدهر ليس بمعتب من يجرع) % .

لأن الضمير في قوله : وريبه يدل على أن المنون الدهر ، ومن ذلك أيضا قول الآخر : لأن الضمير في قوله : وريبه يدل على أن المنون الدهر ، ومن ذلك أيضا قول الآخر : % (تربص بها ريب المنون لعلها % تطلق يوما أو يموت حليلها) % .

وقال بعض العلماء : المنون في الآية الموت ، وإطلاق المنون على الموت معروف في كلام العرب ، ومنه قول أبي الغول الطهوي : وقال بعض العلماء : المنون في الآية الموت ، وإطلاق المنون على الموت معروف في كلام العرب ، ومنه قول أبي الغول الطهوي : % (هم منعوا حمى الوقيبي بضر % يؤلف بين أشات المنون) % .

لأن الذين ماتوا عند ذلك الماء المسمى بالوقبا ، جاءوا من جهات مختلفة ، فجمع الموت
بينهم في محل واحد ، ولو ماتوا في بلادهم لكانت مناياهم في بلاد شتى .